المُقدّمة

أهميّة الموضوع وسبب اختياره

دراسة تحليليّة لأهمّ مصادره

obeikan.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الدبلوماسية السعودية هي امتداد للدبلوماسية الإسلامية، التي بدأت مع بداية دعوة الرسول الكريم محمد ﷺ لقومه حينما أخذ يعرض دعوته للإسلام على القبائل، ودعوته لأهله وقومه بدبلوماسيته الفطرية، وما حصل له من تكذيب قومه لدعوته، وخروجه إلى الطائف، وما لقيه عليه الصلاة والسلام، من إنكار لهذه الدعوة، وما فعله سفهاء الطائف معه، فعاد إلى مكة ولم يستطع دخلوها إلاّ في حماية[1] المطعم بن عدي وأولاده.

كذلك هجرة أصحابه إلى الحبشة، ثم هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة، وتأسيس الدولة الإسلامية هناك، بعد أن بقي في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة إلى توحيد الله، وبتوفيق الله نجحت سياسته هذه في صد أذى قريش عنه.

وفي المدينة المنورة، وضع ﷺ الأسس والقواعد في صحيفته التي تحتوي على سبع وأربعين مادة، بيّن فيها حقوق المسلمين في الحياة الكريمة، وما أجراه من صلح بين قبيلتين كانتا تسكنان المدينة المنورة قبل وصوله، على ما كان بينهما من حروب وقتال وتنافس وتناحر، هما

(1) مفهوم الحماية هنا: هو ما يعرف في وقتنا الحاضر بالحصانة الدبلوماسية.

قبيلتا الأوس والخزرج، كما آخى بين المهاجرين والأنصار، وقرّب وجهات النظر بينهم على أسس إسلامية كريمة.

وفي مسجده ﷺ تلقى أصحابه ـ من المهاجرين والأنصار، ومن قدم للمدينة المنورة من بادية وحاضرة ـ العلوم الإسلامية وتخرج من هذا المسجد، الذي هو بمثابة الجامعة رجال حملوا راية الدعوة الإسلامية، فأوصلوها، بتوفيق الله، إلى كافة أقطار المعمورة، فكانت دعوته عليه أفضل الصلاة والسلام دعوة شاملة.

وبعد أن استقر ﷺ بالمدينة المنورة، انتشرت دعوته في كل بيت، واستتب الأمن، وصلحت أحوال المسلمين، بفضل الله ثم بفضل سياسته الإصلاحية الحكيمة التي كانت مرتكزة على الآتي:

1 ـ الدعوة إلى الإسلام: دين الله، وإلى توحيد الله الخالص وعبادته، ونبذ الشرك وعبادة الأصنام.

2 ـ تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما شجر بين الناس وإقامة الحدود الشرعية، لتحقيق العدل.

3 ـ الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وإنقاذ المستضعفين من المسلمين.

4 ـ إيجاد التكامل والتكافل الاجتماعي بين الناس، والتآخي والتحاب في الله.

5 ـ المحافظة على الأمن، حتى تستقر أحوال المسلمين.

وبعد أن نجحت سياسته، واستقرت رسالته، عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة، بعث أصحابه في سفارات دبلوماسية، يحملون

دعوته في رسائل، إلى ثمانية من ملوك العالم وأمرائه في ذلك الوقت، يدعوهم فيها إلى الإسلام: دين الله، وتوحيد الله في العبادة، ويحثهم على التصديق برسالته واتباعه ﷺ، وقد خيّرهم بين الدخول في الإسلام، أو أن يدفعوا الجزية للمسلمين.

وكانت ردود الفعل متفاوتة بالنسبة لتلك الكتب، وما دار بين السفراء وبين الملوك والأمراء من مناظرات ومحادثات، فمنهم من هداه الله للإسلام، ومنهم من أجاب إجابة طيبة، ومنهم من كتب الله عليه الشقاوة، فأبى واستكبر، فمزق الله ملكه، وشتت الله شمله.

كانت هذه الخطوة بداية الدبلوماسية في الإسلام قبل أربعة عشر قرناً، ثم تطورت خلال تلك الحقبة من ذلك الزمن إلى وقتنا الحاضر، ومن هنا تنبع أهمية الموضوع، حيث تأتي الدبلوماسية السعودية امتداداً للدبلوماسية الإسلامية، معتمدة على الأسس نفسها ومرتكزة على المبادئ الإسلامية ذاتها، إذ إن المملكة العربية السعودية نموذج فريد بحكم تأسيسها على التوحيد الخالص لله، والتزامها بتطبيق شريعة الإسلام وقيامها على خدمة الحرمين الشريفين وراحة ضيوف الرحمن، والعمل على تحديث الدولة في المجالات الإدارية والاقتصادية والتعليمية، وفي كافة المجالات الأخرى ضمن ضوابط المصالح الشرعية، وذلك لتحقيق خدمة الوطن والمواطن السعودي.

أما المراسم، فهي تنظيم الصلة بين الحاكم والمحكوم، وكانت تُعرف في زمن الخلفاء بالحجابة، ثم عُرفت في الدولة السعودية الثالثة

بالتشريفات عندما أصدر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أمره بتعيين أول تشريفاتي بقصر الملك بتاريخ 28 محرم 1366هـ. وفي غرة شهر صفر 1375هـ، أمر الملك سعود ـ رحمه الله ـ بتأسيس أول إدارة للتشريفات الملكية السعودية، عندما أصبحت الضرورة ملحة لوجود إدارة تتولى ترتيب زيارات ضيوف الدولة والإشراف على مسكنهم وتأمين جميع ما يلزم الضيف، من استقبال وتوديع، وترتيب برنامج إقامته، وتحديد مواعيده، وإقامة الحفلات التكريمية له.

يضاف إلى ذلك ترتيب زيارات الملك للداخل والخارج، وتحديد مواعيده في المناسبات الرسمية، والإشراف على الهدايا والأوسمة التي تقدم من الملك لكبار الضيوف، وما يقدم في المقابل من هدايا وأوسمة للملك في مناسبات عدة.

ونظراً لأهمية الموضوع فقد رأيت تقديم هذه الدراسة العلمية في كتاب يُعتبر الأول من نوعه في المكتبة العربية والإسلامية، وذلك بعد حصولي بها على درجة الدكتوراه، وبصدور توصية لجنة المناقشة بطباعتها حتى تعم الفائدة، لكي يتضح مفهوم الدبلوماسية، والمراسم السعودية، التي أصبحت بها المملكة نموذجاً يحتذى به في تأصيل نظمها على أسس إسلامية ومن منظور إسلامي.

إن هذه الدراسة لم تأتِ من فراغ، فهي نتيجة تجارب تطبيقية مارستها واكتسبتها من خلال عملي بالمراسم الملكية لاكثر من أربعين سنة، بتوفيق من الله، وهذه لمحة عنها:

أولاً: في عهد الملك فيصل ـ رحمه الله ـ التحقت بالمراسم الملكية في 29 رجب 1384هـ الموافق 3 ديسمبر 1964م، حتى أول رجب 1429هـ الموافق 4 يوليو 2008م، وخلال تلك الفترة قام الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بزيارات رسمية لبعض الدول العربية والإسلامية، داعياً إلى التضامن الإسلامي، كما حضر عدداً كبيراً من المؤتمرات العربية والإسلامية، وقام بزيارات عديدة لبعض دول العالم، فكان لي الشرف أن أكون أحد أعضاء بعثة المراسم الملكية في كثير من تلك الزيارات التي بلغ عددها أربعاً وثلاثين رحلة خارج المملكة، من بين عدد رحلاته الست والخمسين خارج المملكة، منذ أن تولى الحكم صباح يوم الاثنين 27 جمادى الآخرة 1384هـ الموافق 2 نوفمبر 1964م، وحتى استشهد ـ رحمه الله ـ صباح يوم الثلاثاء 13 ربيع الأول 1395هـ الموافق 25 مارس 1975م. فضلاً عن ممارستي العملية لوظيفتي خلال الزيارات الرسمية التي قام بها ملوك ورؤساء وأمراء الدول للمملكة، والمؤتمرات التي تمت في الداخل خلال تلك المدة.

إن الثروة العلمية العظيمة التي تعلمتها من خلال تجربتي العملية بالمراسم الملكية في عهد الملك فيصل ـ رحمه الله ـ والتي دامت أحد عشر عاماً كانت بحق أعظم مما تعلمته في الجامعات. فلقد تعلمت منه ـ رحمه الله ـ حبه للعمل والنظام والصدق، ودقة المواعيد، والاهتمام بجوهر الحديث مما أدهش رؤساء البروتوكول في بعض الدول التي زارها، فقد كان ـ رحمه الله ـ يتمتع بهذه الصفات الحميدة الكريمة، وصدق من قال: إن الملك فيصل مدرسة إذا تكلم،

ومدرسة إذا سكت، لا يرى شيئاً في غير موضعه إلا أصلحه بنفسه، حتى أنه إذا دخل المسجد، ووجد سجادة الإمام منحرفة عن القبلة أصلحها بنفسه. أديت صلاة الظهر معه بالديوان الملكي بجدة، وسقطت من جيبي ورقة، مكتوب عليها تذكير لرئيس المراسم بموعد ضيف، وعند خروجه من المسجد لاحظ هذه الورقة، فأخذها وقرأها، وعرف خطي وقال لنائب رئيس المراسم الملكية عبدالعزيز ماجد ـ رحمه الله ـ : قل للحمودي لا يضيّع أوراقه.

ثانياً: وفي عهد الملك خالد ـ رحمه الله ـ من 13 ربيع الأول 1395هـ الموافق 25 مارس 1975م وحتى توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأحد 21 شعبان 1402هـ الموافق 13 يونيو 1982م، تشرفت بأن أكون أحد أعضاء المراسم الملكية في عدد يزيد على عشرين رحلة من زياراته الرسمية للدول العربية، والإسلامية وبعض دول العالم، وقد استفدت الكثير من تلك الزيارات الرسمية وخاصة ما يتعلق منها بالدبلوماسية والمراسم في تلك الدول، ومقارنتها بالمراسم المعمول بها في المملكة العربية السعودية.

ومن خلال الزيارات التي قام بها ملوك ورؤساء الدول للمملكة، والمؤتمرات التي عقدت بالمملكة خلال تلك المدة، تعرفت على الكثير من الأمور التي دونتها في هذا الكتاب.

ثالثاً: وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ رحمه الله ـ من خلال عملي بالمراسم، وتشرفي بأن أكون أحد أعضاء المراسم

الملكية المرافقين له عندما كان ولياً للعهد، وبعد أن تولى مقاليد الحكم في 21 شعبان 1402هـ الموافق 13 يونيو 1982م. ومن خلال الزيارات التي قام بها ملوك ورؤساء الدول والحكومات للمملكة، والمؤتمرات التي عقدت خلال هذه المدة، استفدت الكثير، سيما بعد التطوير الذي تم في إدارة المراسم الملكية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ رحمه الله ـ وحتى توفي إلى رحمة الله صباح الإثنين 26 جمادي الآخرة 1426هـ الموافق 1 أغسطس 2005م.

رابعاً: في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن العزيز ـ حفظه الله ـ لقد واصلت وسأواصل ـ بعون الله وتوفيقه جهودي والعمل بما يرضي الله ثم يرضي ولاة الأمر، حيث إنني جعلت المراسم الملكية بيتي الأول.

إن تجربتي واطلاعي على البيانات المشتركة التي صدرت بعد تلك الزيارات، جعلتني أختار هذا الموضوع، لأن جزءاً من مادته، ومكوناته متوافر عندي أكثر من أي موضوع آخر.

إن مصادر هذا الكتاب كثيرة، فهناك وثائق رسمية ـ بعضها منشور وأكثرها غير منشور ـ حصلت عليها من الديوان الملكي، ومن المراسم الملكية، ومن مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ومعهد الإدارة العامة، ومصادر أولية استفدت منها بعد أن حصلت عليها من مكتبة معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية بالرياض، ومن وزارة الإعلام، كما حصلت على أعداد قيمة من جريدة أم القرى

(الجريدة الرسمية) المشتملة على المراسيم والأوامر والقرارات والبيانات المشتركة عن الزيارات الرسمية الصادرة عن الدولة.

ومن المصادر أيضاً الكثير من الكتب القيمة التي حصلت عليها سواء بالشراء أو بالإعارة أو بالتصوير، من داخل المملكة أو من خارجها.

كما أنني استفدت من مذكراتي الخاصة التي سبق لي أن دونتها خلال تلك الفترة، ووجدت فيها أشياء أفادتني عند الرجوع إليها.

ومن أجل الحصول على مزيد من المادة العلمية من مظانها، قمت بزيارات عديدة للحصول على المصادر والمراجع المتوافرة في مكتبات كل من: دارة الملك عبدالعزيز، ومؤسسة الملك فيصل الخيرية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، وتحصلت هناك على صور لبعض الوثائق والكتب التي احتاجها في دراستي، منها كتب تاريخية وسياسية، وأخرى عن العلاقات العامة.

ويحتوي هذا المؤلف على مقدمة، وتمهيد، وستة فصول رئيسية، تتحدث المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، أما التمهيد فهو عرض موجز لنشأة الدبلوماسية الإسلامية والعربية، ويحتوي على بيان انطلاقة الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة والمدينة المنورة، والسفراء الذين حملوا الكتب المرسلة من رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء، وردود الفعل تجاه تلك الرسائل، وأهداف ومميزات الدبلوماسية الإسلامية في العصور الأولى، وتطورها حتى قيام الدولة السعودية الأولى.

ويتحدث الفصل الأول عن الدبلوماسية السعودية، وبناء الوحدة السياسية في الدولة السعودية الأولى والثانية، ويحتوي على ميثاق الدرعية، وبداية التكوين السياسي للدولة، ونشأة الدبلوماسية من خلال البعوث والرسائل، مع بيان الأسس الإسلامية لأهداف ومميزات الدبلوماسية من خلال التطور السياسي للدولة السعودية الأولى والثانية.

وتحدثت في الفصل الثاني عن التطور السياسي في الدولة السعودية الأولى والثانية والدبلوماسية السعودية في الدولة السعودية الثالثة منذ عهد الملك عبدالعزيز إلى عهد خادم الحرمين الشريفين، ونبذة عن سيرة الملك عبدالعزيز وسيرة الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد ـ رحمهم الله ـ وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ـ حفظه الله ـ وولي عهده سمو الأمير سلطان، ودور المملكة في القضايا العربية والإسلامية، والآفاق المستقبلية للدبلوماسية السعودية.

أما الفصل الثالث، فيتطرق إلى تأسيس وزارة الخارجية وتشكيلاتها، بدءاً من المرحلة الأولى في عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وتاريخ إنشاء أول علاقة دبلوماسية بين الدولة السعودية والدول الأخرى، والسفارات والقنصليات والمفوضيات التي أسستها الدولة السعودية في الخارج، ووزارة الخارجية منذ تأسيسها وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ـ حفظه الله ـ والممثليات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدة لدى المملكة والممثليات الدبلوماسية السعودية في دول العالم

من عهد الملك عبدالعزيز وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله.

ويحتوي الفصل الرابع على نشأة المراسم الملكية السعودية وتطوير إداراتها ومقارنتها بمراسم بعض الدول العربية، من حيث الأسس والأهداف التي أنشئت من أجلها واختصاصاتها، والآفاق المستقبلية لها واستقبال وتوديع كبار الضيوف، والحفلات التكريمية، ومراسم حفلات الحج والأعياد، وتقديم أوراق اعتماد السفراء المعتمدين، وتقديم الأوسمة والميداليات، ورفع الأعلام عند الزيارات والمناسبات الرسمية.

كما يحتوي الفصل الخامس على مواثيق المنظمات العربية والإسلامية والدولية ومكاتب المنظمات والهيئات الدولية المعتمدة بالمملكة، مثل: ميثاق الأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها، وميثاق جامعة الدول العربية، ومؤتمرات القمة العربية، ومكان انعقادها وتاريخها ونتائجها، وميثاق رابطة العالم الإسلامي، ومكان انعقاد دورات المجلس الأعلى وتاريخها، وأهم القضايا الإسلامية التي بحثها المجلس في دوراته، وميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمرات القمة الإسلامية، وأماكن انعقادها وتواريخها ونتائجها، وميثاق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومؤتمرات قمة مجلس التعاون، وتاريخ ومكان انعقادها ونتائجها إضافة إلى البيانات الختامية الصادرة عن مؤتمرات القمة.

وفي الفصل السادس تفاصيل عن الزيارات الرسمية التي قام بها إلى خارج المملكة كل من الملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد ـ رحمهم الله ـ، وكذلك الزيارات التي قام بها إلى المملكة ملوك ورؤساء وأمراء الدول في عهدهم. والزيارات التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله حين كان ولياً للعهد، وبعد توليه مقاليد الحكم خارج المملكة، وزيارات ملوك ورؤساء وأمراء الدول للمملكة في عهده ـ حفظه الله ـ.

كذلك تاريخ الزيارات الرسمية التي قام بها إلى خارج المملكة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد، ويلي الفصل السادس: الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، والملاحق، وملحق بأسماء بعض السادة الذين نشروا في الصحف أو أرسلوا لي خطابات مثنين على الكتاب، من أمراء ووزراء ومثقفين وأدباء وصحفيين من داخل المملكة وخارجها.

فأحمد الله وأشكره قبل كل شيء، الذي أعانني وحقق أمنية غالية وهدفاً سامياً كنت أطمح في الوصول إليه، فله الشكر أولاً وأخيراً، ثم الشكر لوالديّ[1] اللذين كان لدعواتهما، وتشجيعهما لي، أكبر وأطيب الأثر في نفسي، فاللهم أجزل لهما المثوبة، وأعنّي على برهما.

كما أقدم الشكر الجزيل لشبل الفيصل صاحب السمو الملكي

(1) توفى والدي ـ رحمه الله ـ يوم الخميس 24 محرم 1424هـ ودفن في مقبرة المنصورية بالرياض .

الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، على تفضله بإصدار توجيهاته الكريمة إلى مدير عام معهد الدراسات الدبلوماسية السابق الأخ الدكتور محمد عمر مدني بتزويدي بكل ما أحتاج إليه من مصادر متوافرة بالمعهد، فقام مشكوراً بتزويدي بكل ما احتجت إليه من كتب ومصادر، من إدارة المراسم بوزارة الخارجية، والمعهد الدبلوماسي.

و يسرني أن أخص بالشكر والتقدير معالي وزير الدولة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ومعالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد بن محمد العنقري، ومعالي وزير الإعلام في ذلك الوقت -وزير الحج الحالي- الدكتور فؤاد بن عبدالسلام الفارسي، ومعالي رئيس المراسم الملكية الأسبق السيد أحمد عبدالوهاب، ومعالي رئيس المراسم الملكية السابق الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل الشيخ، ومعالي رئيس المراسم الملكية الحالي الأستاذ محمد بن عبدالرحمن الطبيشي.

والشكر موصول لمعالي الدكتور راشد بن راجح مدير جامعة أم القرى الأسبق عضو مجلس الشورى، ومعالي الدكتور سهيل قاضي مدير جامعة أم القرى السابق، وسعادة الأستاذ الدكتور عبداللطيف ابن عبدالله بن دهيش، ولا أنسى أن أتقدم بشكري وتقديري لكل من ساعدني، وأسهم معي سواء بالتوجيه أو النصح، أو بتزويدي بمرجع أو مصدر، أو أمدَني بالدعاء، فاللهم أحسن إلى كل من طالتني حسنته.

لقد حرصت على أن يخرج هذا الكتاب بالصورة العلمية والتاريخية المميزة، وأن يكون مصدراً يستفيد منه كل باحث ومطلع، وأن تكون له

المكانة المرموقة في الجامعات والمعاهد العلمية وفي المكتبات الإسلامية والعربية وأرجو أن أكون قد أوفيته حقه.

وفي الختام، أحمد الله وأشكره، وأصلي وأسلم على السراج المنير، سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعثون ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف

د. عبد الرحمن بن محمد بن موسى الحمودي

مكة المكرمة غرة محرم ١٤٣٠هـ

obeikandl.com